بسم الله الرحمان الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده وسوله.

﴿ ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُسْلِمُونْ ﴾(آل عمران:١٠٢).

﴿ ياأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَازَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَّآءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبا ﴾(النساء:١) .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيما ﴾ (الأحزاب:٧٠-٧١) .

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

اللهم يا معلم إبراهيم علمنا ويا مفهم سليمان فهمنا ، أسأل الله – سبحانه وتعالى– أن يرزقني وإياكم الفقه في الدين وأن يرزقنا علما نافعا وعملا متقبلا ، وأن يجعلنا ممن أراد به خيرا ففقهه في دينه – سبحانه وتعالى– وهو خير مسؤول مدارستنا الليلة إن – شاء الله تعالى– في منظومة عظيمة نظمها إمام من أئمة المسلمين هو الإمام أبو بكر عبد الله ابن الأشعث السجستاني.

هو إمام و والده إمام، والده أشهر من نار علم . عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني – رحمه الله – وصاحب المنظومة عبد الله يكنى بأبي بكر قال عنه الذهبي في السير – عندما ترجم له – قال عنه:

((الإمام العلامة الحافظ شيخ بغداد أبو بكر صاحب التصانيف)).ولد – رحمه الله – بسجستان وسجستان هذه بلدة أو (إقليم) يقع بين إيران وأفغانستان – ونسأل الله أن يخلصه من الروافض – ولد رحمه الله سنة ٢٣٠ هجرية ، ورحل في طلب العلم (رحل به أبوه) وأخذ العلم عن شيوخ كثيرين وتلقى عنهم أول من سمع منه محمد الطوسي – رحمه الله – وتتلمذ على هذا الإمام خلق كثير من العلماء ؛ منهم الإمام ابن حبان – رحمه الله – صاحب الصحيح المشهور . قال الذهبي عن هذا الإمام :((كان من بحور العلم ، حتى إن بعض أهل العلم فضله على أبيه)) . وقال عنه محمد بن عبد الله بن الشخير – رحمه الله : ((كان ابن أبي داود – يعني :عبد الله – زاهدا ناسكا صلى عليه يوم مات نحو من ثلاثمائة ألف إنسان – أو أكثر – مات في ذي الحجة الشهر الحرام سنة ٣١٠ وله

من العمر ٨٧ سنة - رحمه الله تعالى رحمة الأبرار -)) ، ومن أراد أن يستزيد في ترجمة هذا الإمام فليراجع سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي – رحمه الله – وقد أجاد وأفاد في ترجمته -رحمة الله عليهم جميعا – أما المنظومة التي سنتذاكرها ونتدارسها فهي صحيحة النسبة إليه وقد ذكرها الإمام الذهبي كاملة بسندها إليه –رحمة الله عليهم جميعا – ، هذه المنظومة فيها وصايا لطالب العلم وللسني خصوصا وصايا قيمة في الأقوال والأعمال والإعتقادات . التي من تديَّن بها والتزم بها فإنه كما ذكر ناظمها – رحمه الله - يبيت على خير كثير في يومه وليلته ويصبح على خير كثير – بإذن الله سبحانه وتعالى - لأنه التزم هذه الوصايا التي تبثت في القرآن والسنة وسنقرأ المنظومة كاملة –بإذن الله– حتى من أراد أن يضبطها أو أراد أن يحفظها يكون يحفظها حفظا صحيحا إن شاء الله.

قال – رحمه الله: -

تَمسَّكْ بحَبْلِ اللهِ واتَّبعِ الهُدَى ، ولا تَكُ بِدْعِيًّاً لَعلَّكَ تُفْلِحُ

وَدِنْ بكِتَابِ اللهِ والسُّنَنِ التِي ، أَتَتْ عَن رَسُولِ اللهِ تَنْجُ وَتَرْبَحُ

وَقُلْ غَيْرُ مَخْلِوق كَلامُ مَليكِنا ، بِذَلكَ دَانَ الأَتْقِياءُ وأَفْصحُوا

وَلا تَكُ فِي القُرْآنِ بالوَقْفِ قَائِلاً ، كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا

ولا تَقُلِ القُرآنُ خَلقٌ قرأتُهُ ، فإنَّ كَلامَ اللهِ باللفْظِ يُوضَحُ

وَقُلْ يَتجلَّى اللهُ للخَلْقِ جَهْرَةً ، كَمَا البَدْرُ لا يَخفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

وَلَيْسَ بمَوْلُودٍ وليسَ بِوَالِدٍ ، وَلَيسَ لهُ شِبْهٌ تَعَالَى المسَبَّحُ

وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْميُّ هَذَا وعِنْدَنَا ، بِمِصْدَاقِ ما قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ

رَوَاهُ جَرِيرٌ عَن مَقَالِ مُحمَّدٍ ، فقُلْ مِثْلَ ما قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ

وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ أيضًا يَمِيْنَهُ ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ بالفواضِلِ تَنْفَحُ

وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ، بِلا كَيْفَ جَلَّ الواحِدُ المتَمَدِّحُ

إلى طَبَقِ الدُّنيا يَمُنُّ بفَضلِهِ ، فَتُفْرَجُ أَبْوابُ السَّماءِ وتُفْتَحُ

يَقولُ : ألا مُسْتغفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا ، ومُسْتَمنِحٌ خَيْرًا ورِزقًا فيمْنَحُ

رَوَى ذَاكَ قَومٌ لا يُرَدُّ حَدِيثُهم ، ألا خَابَ قَومٌ كذَّبُوهُم وقُبِّحُوا

وَقُــلْ إنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْــدَ مُحَمَّــدٍ … وَزِيــراهُ قِدْمًا ، ثُمَّ عُثْمَانُ الأرْجَــحُ

وَرابِعُهُــم خَــيْرُ البريَّــةِ بَعْــدَهُــم … عَلِــيٌّ حَليفُ الخَــيرِ ، بالخَيرِ مُنْجِحُ

وإنَّهمُ و الرَّهْطُ لا رَيْـــــبَ فِيْهِـــمُ … عَلَى نُجُبِ الفِرْدَوْسِ بالنورِ تَسْــرَحُ

سَعِيدٌ وسَعْــدٌ وابنُ عَــوفٍ وطَلْحــةُ … وعَامِرُ فِهْـــرٍ والزُّبَيْـــرُ المُمَـــدَّحُ

وَقُلْ خَــيْرَ قولٍ فِي الصَّحَابةِ كُلِّهِــمْ … ولا تَـــكُ طَعَّاناً تَعِيْـــبُ وَتَجْــرَحُ

فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ المُبــينُ بِفَضْلِهِــــمْ … وفي الفَتْــحِ آيٌ للصَّحابــةِ تَمْــــدَحُ

وبالقَــــــدَرِ المقْـــــدُورِ أيْقِنْ فإنَّهُ … دِعَامَةُ عِقْدِ الدِّينِ والدِّينُ أفْيَـــــحُ

وَلا تُنْكِرَنْ جهلاً نَكِيرًا ومُنْكَــــــــراً … وَلا الحْوضَ والمِيزانَ إنَّــكَ تُنْصَــحُ

وقُــلْ يُخْــرِجُ اللهُ العَظِيمُ بِفَضلِـــــهِ … مِن النارِ أجْسادًا مِن الفَحْمِ تُطْــــرَحُ

عَلَى النَّهرِ فِي الفِردوسِ تَحْـــيا بِمَائِهِ … كَحِبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إذْ جَاءَ يَطْفَــحُ

وإنَّ رَسُــولَ اللــهِ للخلْــقِ شَافِــعٌ … وقُلْ فِي عَذابِ القَبرِ حــقٌّ مُوَضَّحُ

ولا تُكَفِّرَنَّ أهْلَ الصَّلاةِ وإنْ عَصَــــوا … فكلُّهُمُ يَعْصِي وذُو العَرشِ يَصْفَــحُ

ولا تَعتقِــــدْ رَأيَ الخَوارجِ إنَّـــــهُ … مَقَالٌ لِمَنْ يهــواهُ يُرْدِي ويَفْضَــحُ

ولا تَـــكُ مُرْجِيــًّا لَعُوبًا بدِينِـــــهِ … ألا إنَّمَا المُرْجِيُّ بالدِّينِ يَمْــــــــزَحُ

وقُـــلْ إنَّما الإيمانُ قَــوْلٌ ونِيَّـــــةٌ … وفِعْلٌ عَلَى قَــولِ النبيِّ مُصَــــرَّحُ

ويَنْقُصُ طَــوْرًا بالمعَاصِي وَتَـــــارةً … بطَاعَتِهِ يَنْمِي وفِي الوَزْنِ يَرْجَــــحُ

وَدَعْ عنكَ آراءَ الرِّجالِ وَقَــولَهُـــم … فَقَولُ رَسُولِ اللهِ أزكى وَأَشْــــرَحُ

وَلا تَكُ مِــن قَــوْمٍ تَلَهَّــوْ بِدِينِهِــم … فَتَطْعــنَ فِي أَهَلِ الحَدَيثِ وتَقْــدَحُ

إذا مَا اعتقَــدْتَ الدَّهْرَ يا صَاحِ هــذِه … فَأَنْــتَ عَلــى خَيْــرٍ تَبِيتُ وتُصْبِحُ

–رحم الله ناظمها – هذه منظومة عظيمة.

من تمسك بهذه الوصايا التي ذكرها هذا الإمام بإذن الله يبيت ويصبح على خير كــثير ، نــشرع في البيت الأول – إن شاء الله . –

قال – رحمه الله: –

تمسك بحبل الله واتبع الهدى   ولا تك بدعيا لعلك تفلـــح

الكلمات التي تحتاج إلى تفسير في هذا البيت :

قوله :(تمسك) معنى التمسك هو الأخذ والاعتصام والتعرف علما وعملا.

قوله :(بحبل الله) أراد الناظم –رحمه الله– بالحبل هنا القرآن.

(الهدى) :بمعنى السنة.

قوله: (ولا تك بدعيا) أي مخالفا لما في الكتاب والسنة . باختراع أمر محدث في دين الله – سبحانه وتعالى – إذ البدعة هي إحداث واختراع في دين الله . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ((مَــنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)) (١)

هذا البيت فيه مسائل:

-الوصية الأولى : التمسك بكتاب الله — سبحانه وتعالى – وهذه وصيته في كتابه و وصية رســول الله صلى الله عليه وسلم في سنته ، قال الله تعالى–حاشا المؤمنين –﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعــاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾ (آل عمران : ١٠٣) فأمر المؤمنين بأن يعتصموا بحبل الله ، قال المفسرون ﴿ حبل الله ﴾ هو القرآن ، وقال بعضهم ﴿ حَبْلُ اللهِ ﴾ هو الرسول صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم﴿حَبْلُ اللهِ﴾ هو الإسلام . وكلها معاني صحيحة ، فالقرآن نزل على النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صــلى الله عليه وسلم دعى إلى دين الإسلام .

إذن يجب على صاحب السنة وعلى المسلمين عموما (لكن صاحب السنة بالخــصوص) إذ هــذه الوصية لصاحب السنة .أن يتمسك بكتاب الله – سبحانه وتعالى – وبسنة النبي صــلى الله عليــه وسلم في أقواله وأفعاله واعتقاداته (كما سيذكر المؤلف ذلك).

أيضا أوصى بإتباع الهدى، وإتباع الهدى أي إتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم وعدم مخالفتــه في أي أمر أمر به نرضى ونسلم ، نصدق بالأخبار ونمتثل الأوامر كما قال النبي صلى الله عليه وســلم ((إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَاْتُواْ مِنْهُ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ))(٢)

أيضا في هذا البيت وصية من الناظم – رحمه الله – أوصى بالحذر والابتعاد عن البدع وطرقها وهي وصية النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) –رواه البخاري ومسلم من حديث أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها–.

(٢) – رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–.

فالنبي صلى الله عليه وسلم في خطبه يوصي أمته وعلى رأسهم أصحابه –رضوان الله تعالى عليهم– يوصيهم بالحذر من البدع وخطبة الحاجة مشهورة عند عموم المسلمين فضلا عن طلاب العلم، فدائما ما يوصي بالحذر من البدعة ((وَإِيّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَة وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّار))(١) يعني صاحبها.

(ولا تك بدعيا): يعني احذر طريق البدع ، لأن طريق البدع طريق وخيم من سار فيه حاد عن الفلاح وطريق النجاح.

ثم بين – رحمه الله – في آخر هذا البيت الثمرة والنتيجة لمن تمسك بحبل الله الذي هو القران واتبع سنة النبي صلى الله عليه وسلم (تمسك قولا وفعلا واعتقادا بالكتاب والسنة) فإن نتيجة هذا التمسك هو الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة كما جاء ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى))(٢).

أي أبى من دخول الجنة ، وجاءت آيات تحث على طاعة الله ورسوله

وتبين أن من أطاعه فان له الفلاح والفوز ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً ﴾(النساء:69) .

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارِ ﴾(النساء:13).

هذا هو الفوز الحقيقي:

(الفوز بجنة رب العالمين دار كرامته – سبحانه وتعالى –). فاعمل أيها السني بهذه الوصية وهي أن تعتصم بالكتاب والسنة قولا وفعلا واعتقادا وتحكيما وتحاكما إلى الكتاب والسنة وتجتنب طريق البدع والمحدثات إن أردت السلامة لنفسك في هذه الدار وفي دار القرار (في الدار الآخرة).

ثم قال – رحمه الله: – ودن بكتاب الله والسنن التي أتت عن رسول الله تنجو وتربح

قوله : (دن) يعني اتخذ هذا الأمر دينا وطريقا ومنهجا تسلكه في حياتك

وهو أن تسير على منهج الكتاب والسنة (كتاب الله والسنن التي أتت عن رسول الله) فكتاب الله – سبحانه وتعالى – وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (التي هي أقواله وأفعاله و تقريراته عليه الصلاة والسلام) هذا هو معنى السنة عند العلماء هي كل قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية له عليه الصلاة والسلام.

---

(١) - رواه الترمذي وأبوداود من حديث العرباض بن سارية –رضي الله عنه–.

(٢) - رواه الإمام البخاري من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–.

كل ذلك داخل في معنى السنة ، فمن سار على الكتاب بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وتصديق أخباره والتحاكم إليه وتحكيمه وكذلك السنة بفعل أوامرها واجتناب نواهيها وتصديق أخبارها والتحاكم إليها وتحكيمها ، فإن عاقبتها ونتيجتها من هذا التدين هي – كما قال الناظم – (تنجو وتربح).

(**تنجو وتربح**) :ضمن له النجاة في هذه الدار (هي نجاة من الغواية) (ونجاة من الضلالة) فلا يضل كما قال الله –سبحانه وتعالى –﴿ وَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى ﴾(طه:**123**).

يعني لا يضل في هذه الدار ولا يشقى في دار القرار ، ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى(١٢٤) قَالَ رَبِّي لِمَا حَشَرْتَنِي أَعْمَى(١٢٥) وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى(١٢٦)﴾ (طه : ١٢٤-١٢٦).

ففي هذا البيت وصية من الناظم – رحمه الله – بالعمل بالكتاب والسنة في كل شؤون الحياة ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ ﴾(الأنعام: 162)، فجميع شؤون حياتك لابد أن تسير فيها وفق الكتاب والسنة .ما نهى عنه الكتاب والسنة تنتهي وما أمرا به تمتثل ، هكذا تكون متدينا بهما .

أيضا في هذا البيت بيان لمصدر التلقي عند أهل السنة (عند السني) وأنه الكتاب والسنة لأنه يتدين بهما ويعمل بما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة بخلاف أهل الأهواء فإن مصدر التلقي عندهم هي أهوائهم (لذلك سموا أهل الأهواء) وسمي أصحاب السنة (بأهل السنة والجماعة) لأنهم عملوا بالسنة واعتصموا بها وبالكتاب(كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأنتهوا بذلك) وأما أهل الأهواء فمصدر أخذ هم هي أهوائهم ... أيضا في هذا البيت بيان قاعدة يسير عليها أهل السنة والجماعة وهي أنهم (يستدلون ثم يعتقدون) .

فتكون عقائدهم وأعمالهم وفقا للكتاب والسنة وتبعا للكتاب والسنة ، بخلاف أهل الأهواء والضلال والبدع فإنهم عكسوا هذه القاعدة(يعتقدون ثم يستدلون) يعتقدون اعتقادا فاسدا ثم يستدلون لهذا الاعتقاد الفاسد ويلوون أعناق الأدلة كي تكون موافقة لما اعتقدوه ، فهذه هي طريقة أهل الأهواء فتراهم دائما إذا أرادوا الإستدلال لمسألة من مسائلهم يستدلون بنص من نصوص الكتاب والسنة لكنهم يلوون عنقه ، اعتقدوا عقيدة فاسدة كما في أسماء الله وصفاته .. – كما سيأتي معنا إن شاء الله–.

اعتقدوا عقائد فاسدة في القران وفي نزول الله – سبحانه وتعالى – وفي الرؤيـة وغـير ذلـك ... اعتقدوا عقائد فاسدة أملتها لهم عقولهم ثم استدلوا لها فلووا أعناق الأدلة بتحريف أو تأويل حتى يجعلوها موافقة لما اعتقدوه وهذا من الضلال ، وأما أهل السنة والجماعة فإنهم استدلوا بكتـاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بفهم الصحابة الذين أمر الله تعالى أن يفهـم الكتـاب والـسنة بفهمهم– رضوان الله تعالى عليهم –بفهم السلف (سلموا ونجوا في هذه الدار وفي دار القرار).

ثم بين أيضا – رحمه الله – ثمرة الديانة على الكتاب والسنة . فإن ثمرة ذلك ، النجاة مـن الـضلالة ومن الغواية في الدنيا والنجاة من النار في الآخرة كما ذكر الله – سبحانه وتعالى – ذلك في سـورة طه وأيضا في سورة البقرة ﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ(٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩) ﴾(البقرة : ٣٨–٣٩). أيضا من ثمرات العمل بالكتاب والسنة بالعمل والقول والاعتقاد (الربح) الربح في الدنيا يربح الإنـسان الـسني المسلم يربح من الله تعالى في هذه الدار ومحبته - سبحانه وتعالى – له ، لأنه سار على مـا يحبـه الله ويرضاه . فمن عمل بما يحبه الله ويرضاه من العبادات كما شرع الله وفق سنة النبي صلى الله عليـه وسلم فإن الله يحبه ، وأيضا يربح في الآخرة الجنة –إن شاء الله تعالى . -

ثم انتقل الناظم–رحمه الله– بعد ذلك إلى بيان مذهب أهل السنة والجماعة إعتقاد الطائفـة الناجيـة المنصورة ، وهو الإعتقاد الحق . الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وسار عليه سلف الأمة – رضوان الله تعالى عليهم – . وهذا الاعتقاد في كلام الله – سبحانه وتعالى – ومن كلامه القـرآن ثم بين –رحمه الله– في الأبيات طوائف وفرق ضلت عن منهج أهل السنة والجماعة .

قال ــ رحمه الله ــ :

وقل غير مخلوق كلام مليكـنا	بذلك دان الأتقيـاء وأفصحـوا
ولاتك في القرآن بالوقف قائلا	كما قال أتباع لجهم وأسجحـوا
ولا تقل كلام الله خلق قرأتـه	فإن كلام الله باللفظ يوضـح

هذه ثلاثة أبيات تشتمل على مسائل عظيمة من مسائل الإعتقاد في البيت الأول بين معتقـد أهـل السنة والجماعة (الطائفة الناجية المنصورة) طائفة الحق . السلفيين السائرين على نهـج الـسلف – رحمهم الله – في كلام الله وأن أهل السنة السلفيون يقولون القرآن كلام الله غير مخلوق.

كما ذكر المؤلف:

(وقل غير مخلوق كلام مليكنا): منه بدأ واليه يعود (تكلم الله به إبتداء و إليه يعود في آخر الزمان) كما ثبت في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أن القران في آخر الزمان يرفع من المصاحف فلا يبقى فيها حرف من القرآن ، خلافا لأهل البدع والضلال الذين خالفوا في هذه الصفة من صـــفات الله – سبحانه وتعالى– ، هناك قاعدة ذكرها أهل العلم في الإضافات (المضاف والمضاف إليه) قالوا المضاف إلى الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ ضربان

ـــ النَّوع الأوَّل : إضافةُ صفةٍ إلى موصوفٍ .

ـــ النَّوع الثَّاني : إضافةُ مخلوق إلى خالقهِ .

ما هو الضابط في التمييز بين الصفة وإضافة المخلوق إلى الخالق ؟

الضابط في معرفة الصِّفة أن الصفة قائمة بغيرها لا تقوم بنفسها (الصِّفة لا تقوم بنفسها) ،مثال على ذلك ولله المثل الأعلى : عينُ أحمدٍ.

هل يُمكن أن تقوم العين بنفسها بدون أحمد ؟! هذا من المستحيلات فهذا هو معنى أنَّ الصِّفة متعلقة بغيرها ، أمَّا المخلوق فهو قائم بنفسه ، يعني :(عينٌ محسوسةٌ) فالصِّفة نعرِفها إذا كانت غيرَ قائمـــة بنفسها متعلقة بغيرها ... كالقول في كلام الله –سبحانه وتعالى– ، كلام الله أي متعلق بالله –سبحانه وتعالى– ، هذه قاعدة عند أهل السنة بخلاف قولهم لَّما يقول كلام الله هذه إضافة صفة إلى موصوف بخلاف ما لو قال بيت الله ، إضافة مخلوق إلى خالقه إضافة تشريفٍ ، أمَّا الأول فهو إضافة صفة إلى موصوف (بيت الله) هذه عينٌ قائمة بنفسها وأضيفت إلى خالقها من باب التشريف لها ، وهنـــاك قاعدة ذكرها أيضاً أهل السنة –رحمهم الله– من السَّلف المتقدمين وعمل بها وأخذها عنهم المتأخرون وهي أنَّ الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذَّات ، اتفق جميع الناس علـــى أن ذات الله غـــير مخلوقة فكذلك حتى الطوائف التي ضلت في هذا الباب وقالت أن القرآن مخلوق يقولـــون (ذات الله غير مخلوقة) ، لَّما تناقشهم في ذات الله –سبحانه وتعالى– يقولون غير مخلوقة . فلماذا لما يـــأتون إلى الصفات يقولون كما في القرآن (كما سيأتي معنا يقولون أنه مخلوق) !!! ، هذا من الضلال الـــذي يردُّه العقل الصحيح ؛ الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فكما أنَّ ذات الله – ســـبحانه وتعالى– غير مخلوقة ، فكذلك صفاته –سبحانه وتعالى– غير مخلوقة ، وهذا هو مـــذهب الـــسلف المتقدِّمين –رحمهم الله تعالى– ، والأدلة على أن القرآن كلام الله- سبحانه وتعالى– كثيرة أكثر من أن تحصر في كتاب الله –سبحانه وتعالى– وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُونْ ﴾ (التوبة:٦) وقال –سبحانه وتعالى– أيضا : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُون ﴾ (البقرة :٧٥) .

وقال –سبحانه وتعالى : -﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونا كَذَلِكَ قَالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ﴾(الفتح :١٥)

.وجاء في السُّنة الرسول صلى الله عليه وسلم - كما ٱستفتحنا به مقالنا ودرسنا – خطبة الحاجة (إن أحسن الكلام كلام الله) فنسب الكلام إلى الله –سبحانه وتعالى– ، وأمَّا كونه غير مخلوق فبه انعقد إجماع أهل السُّنة على أن القرآن غير مخلوق وأن من قال بخلاف ذلك (ادَّعى خلق القرآن فإنه كافر) كما ذكر ذلك الإمام ابن القيم عن الجهمية (كما سيأتي معنا) ولقد تقلَّد كفرهم خمسون في عشر من البلدان ، كفَّرهم (٥٠٠) خمسمائة عالم قالواْ بهذه المقولة الشَّنيعة (القول بخلق القرآن) هذه مقولة شنيعة قال بها الجهمية وأضرابهم عليهم من الله ما يستحقون هم كفَّار وكلام الأئمة فيهم شديد ومعلوم (يرجع فيه إلى مظانِّه) والجهمية هم أتباع الجهم بن صفوان والجهم بن صفوان كما قال شيخ مشايخنا رحمه الله (الشيخ حافظ) قال عنه: شقيق إبليس- لعنهم الله– ، كان ملحداً زنديقاً عنيداً وزائغاً ، اتبع غير سبيل المؤمنين حتَّى قيل في ترجمته أنه ترك الصَّلاة أربعين يوماً تاه في الطُّرقات يبحث عن ربه ، ناقشه بعض أهل الأهواء في معبوده فقال: هذا الهواء في كل مكان ــ قبَّحه الله ــ وثبت عنه أيضا أنه قرأ في سورة طه فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾(طه : ٥) قال لو وجدت إليها سبيلا لحكها لحككتها من المصحف ، نسأل الله العافية والسَّلامة . قال الشيخ حافظ رحمه الله :((وهو أذل وأحقر من أن يترجم له ، أخذ هذا القول عن الجعد بن درهم ، والجعد بن درهم أخذه عن طالوت عن آبان . وآبان أخذه عن طالوت وطالوت هذا إبن أخت لبيد بن الأعصم ولبيد بن الأعصم هذا يهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم)). فهذه السلسلة سلسلة الضلال والظلام ومستندهم في هذا اليهود الذين كفرهم الله في كتابه – عليهم من الله ما يستحقون – ثم نسب هذا القول إلى الجهمية . لأن الجهم هو من نشر هذا المذهب و إلا فالأساس الجعد الذي ضحى به خالد القسري والجهم ضحى به سالم بن الأحوز – رحمه الله سبحانه وتعالى. - ضحى به في أصبهان كان نائبا لخليفة المسلمين فضحى به وأراح المسلمين من شره – عليه من الله ما يستحق – ثم أخذ هذا القول بعده المخذول بشر بن غياث ابن كريمة المريسي شيخ المعتزلة (ولذلك يقولون عن المعتزلة أفراخ الجهمية) لأنهم أخذوا علمهم عن الجهمية

وهذا بشر تكلم بهذا القول ونشره في عهد المأمون ثم أتى بعده أحمد بن أبي دؤاد – عليه من الله ما يستحق - الذي أهلكه الله بالفالج قبل موته ، بدعوة من الإمام أحمد – رحمه الله تعالى - ، ثم حدثت الفتنة المعلومة المشهورة التي ابتلي فيها أهل الحق .

من العلماء والأئمة (منهم من ثبت) كالإمام أحمد – رحمه الله – عذب وأوذي وكان شديد التمسك بالسُّنة ، صبر في ذات الله –سبحانه وتعالى– على هذا القول ؛ هؤلاء الجهميَّة كما ذكرنا لكم كفَّرهم العلماء المتقدمون . قال أحمد بن حنبل –رحمه الله –(إمام أهل السُّنة) : من قال عن القرآن مخلوق فهو عندنا كافر . وقال إبراهيم بن طهمان – رحمه الله – : الجهمية كفَّار . وقال سلَّام بن أبي مطيع : الجهمية كفَّار لا يُصلَّى خلفهم . وقال عبد الله بن المُبارك : الجهمية كفار لأنهم قالواْ هذا القول الشنيع جعلوا صفة من صفات الله (مخلوقة) –والعياذ بالله– . و قال سفيان بن عيينة – رحمه الله – : القرآن كلام الله ، من قال مخلوق فهو كافر من شك في كفره فهو كافر.

إذاً تبين لنا من هذه النقولات عن أئمة أهل السُّنة والجماعة أن الجهمية كفَّار ، وأنَّ من قال بقولهم أنَّ القرآن مخلوق فهو كافر وكما قال (سفيان بن عيينة) –رحمه الله – : أنَّ من شكَّ في كفره فهو كافر فيجب الحذر والفرار من هذا القول الشَّنيع ؛ ـــ نسأل الله أن يعافينا وإياكم منه ـــ .

قال النَّاظم ـــ رحمه الله ـــ:

وقل غير مخلوق كلام مليكنا بذلك دان الأتقياء وأفصحوا

يعني بهذه المقولة وهذا الإعتقاد من أنَّ القرآن غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ، صار وتديَّن وٱعتقد الأتقياء أئمَّة أهل السُّنة والجماعة المتقدِّمون (ٱتقَّوا الله تعالى في ٱعتقادهم) وكان الإمام أحمد ـــ رحمه الله ـــ (إمام أهل السُّنَّة) الذي أوذي أذى شديداً كان مستنده في ذلك (الكتاب والسُّنَّة) وذلك لَّما كان يناظر ٱبن أبي دؤاد في بعضٍ من علم الكلام كان يقول له الإمام أحمد ائتني بشيء من كتاب الله أو من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقول به فأبى ٱبن أبي دؤاد وكان مقرَّبا من الخليفة ، قال : وأنت ما تقول إلا ما كان في كتاب الله وفي سنَّة رسوله ، فقال له الإمام أحمد : وهل يقوم الإسلام ؟! إلا بهما.

يعني أنَّ مصدر تلقي الإسلام نأخذه من كتاب الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمِ ﴾(آل عمران : ١٩) وكما ذكر الله : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِين ﴾(آل عمران : ٨٥).

(دان الأتقياء وأفصحوا) اتقوا الله في اعتقادهم فٱعتقدوا الحق.

(وأفصحـــوا) نشروا هذا المذهب.

مذهب الحق نشروه وأظهروه بين النَّاس وأيضاً أظهروا زيف وبطلان من خـــالفهم ، وقـــال بخلـــق القرآن –كما سأتينا إن شاء الله تعالى– ولم يسكتواْ عن بيان الحقِّ وردُّوا على مخـــالفيهم وألَّفـــوا في ذلك المُؤلَّفات من كُتب الرُّدود على المخالفين الذين خالفوا في هذه المسألة وبيَّنوا - جزاهم الله عنَّا خيراً -.

نكتفي بهذا القدر في درس الليلة - إن شاء الله تعالى – ونُكمل في الدَّرس القادِمِ أسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يوفقني وإيَّاكم لما يُحبُّ ويرضى وأن يأخذ بنواصينا وإيَّاكم بالبر والتَّقوى وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه إنَّه ولي ذلك والقادر عليه ؛وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

الأسئلة:

هل يقصد النَّاظم ــ رحمه الله ــ في قوله : ولا تك بدعيا لعلك تفـــلـــح ، التَّرجي ؟

هو لا يقصد به الترجي ولكن يقصد به التأكيد ، فلاحٌ مؤكد كما دلت عليـــه نـــصوص الكتـــاب والسُّنة وليس من باب التَّرجِّي.نعم.

كيف يرفع القرآن في المصاحف ؟

يرفع بمعنى أنَّه يُمحى من المصاحف حتَّى لا يبقى فيها شيء كما ثبت في السُّنة وهذا مـــن أمـــارات السَّاعة ، من علامات السَّاعة أنَّ القرآن يُرفع إلى الله ــ سبحانه وتعالى ــ ويمحى من المصاحف .

تمَّ بحمد الله.

تنبيـــه : لم يراجعـــه الـــشيخ مرعـــي بـــن علـــوان المبـــاركي حفظـــه الله ، ولم يوافـــق عليـــه بعـــد.
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.